الرسالة

(عبرانيين ٩: ١–٧)

يا إخوةُ إنَّ العهدَ الأولَ كانت لـه أيضاً فرائضُ العبادةِ والقُدسُ العالميُّ* لأنَّهُ نُصِبَ المسكِنُ الأوّلُ الذي يُقالُ له القُدسُ وكانت فيهِ المنارَةُ والمائدةُ وخبز التقدمةِ* وكان وراءَ الحجابِ الثاني المسكِنُ الذي يقالُ لـه قُدسُ الأقداس* وفيهِ مستوقَدُ البخورِ من الذهبِ وتابوتُ العهدِ المغشَّى بالذهبِ من كلِّ جهةٍ فيهِ قِسطُ المنِّ منَ الذهبِ وعصا هرونَ التي أفرخَتْ ولَوحا العهد* ومن فوقِه كاروبا المجدِ المظلِّلانِ الغِطاءَ. وليس هنا مَقامُ الكلامِ في ذلك تفصيلًا* وحيثُ كان ذلك مُهيَّأً هكذا فالكهنةُ يدخلون إلى المسكِنِ الأولِ كلَّ حين فيُتمِّمونَ الخِدمةَ* وأمّا الثاني فإنَّما يدخلُه رئيسُ الكهنةِ وحدَهُ مرَّةً في السنةِ ليس بلا دمٍ يقرِّبه عن نفسه وعن جهالاتِ الشعبِ.

كتاب الحياة في المسيح

كتاب القديس نيقولاوس كباسيلاس «الحياة في المسيح»، نتاج أدبي لاهوتي وروحي متمايز من مرحلة الازدهار الفكري والحضاري الأخير التي سبقت سقوط القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومية المسيحية المشرقية. في الوقت الذي كانت فيه العقلية العلمانيّة تؤكّد على نحو متزايد الاستقلال الذاتي للإنسان عن الله، يبشر كاباسيلاس أن قيمة حياة الإنسان الحقيقية لا تكمن في نفسه، بل في المسيح. خلاص الإنسان بالرب يسوع المسيح ليس مجرد مسألة تاريخية حدثت في الماضي، ويمكن إيضاحها ببساطة من خلال المسعى العلمي، بل هو حدث حاضر يُدعى الإنسان للمشاركة به هنا والآن، في الجسد والنفس وكذلك في الفكر، من خلال الحياة الأسرارية للكنيسة.

هناك العديد من الكتب عن معنى الحياة وعن السعادة الحقيقية. هذا على الأرجح هو واحد من أعظمها. يأتينا من معلّم روحي لاهوتي من القرن الرابع عشر من كنيسة القسطنطينية. يدعونا فيه القديس نيقولاوس إلى الالتفات نحو محبة الله التي كُشفت لنا في شخص المسيح، لكي ننكبّ، بكل جوارحنا، على مسعى الدنو ممن تجسد لكي يؤلّه الإنسان ويمنحه نِعَم الملكوت الأبدي. يعلّمنا، كسائر آبائنا القديسين، أن الإنسان كائنٌ حرّ، يتّجه بواسطة أسرار الكنيسة إلى الحياة مع الله. فإذا ما اختار الإنسانُ مسيرةَ الخلاص، تُلاقيه نعمة الآب السماوي في روحه القدوس الذي يسكبه المسيح على محبّيه. هذه النعمة تجدّد كيان الإنسان وقواه وملكاته وتمنحه حرية الاندفاع بشوق إلهي إلى سبل الاتحاد مع الله والامتلاء من نوره الحقيقي.

النعمة تجدّد سلوك الإنسان، وتغذي مواهبه، فيصير إناءً للروح القدس الرب المحيي. والإنسان إذا ما تفاعل مع نعمة الله وامتلأ من سطيع ضيائها غير المخلوق يجعل محيطه مكانًا أفضل. يصنع السلام بين الناس والخلائق والسموات. يصير الإنسان إنجيلاً حيًّا، كلماته تعزّي

العدد ٢٧ / ٢٠١٧
الأحد ٢ تموز
وضع زنار والدة الإله
الفائقة القداسة
اللحن الثالث
إنجيل السَحَر الرابع

وتشفي وتنير، وحضوره يفرض السلام والدفء والثقة. تصطلح العلاقات من حوله وتطمئنّ القلوب. لأن الرب يسكن فيه وهو يسكن في الرب الذي يجعل من عيشه اليومي وسائر خطاه مرآةً لمحبة الله وسلام ملكوته.

الإنسان مدعو لتلقّف النعمة بالأسرار الكنسية التي هي العيش الحقيقي لحياة الكنيسة. الكنيسة تتحقّق في واقعنا بالأسرار، ونحن بالأسرار نصير أبناءً للكنيسة. يفهم اللاهوت الأرثوذكسي الأسرار على أنها استعلانات وتكّشفات لجسد المسيح الواحد. الأمر لا يتعلّق هنا بإتمام طقس عباديّ بل بعمل إعادة خلقٍ متكاملٍ يحصل في الكنيسة بالنعمة الإلهيةً.

بذلك نفهم أنّ القدّيس نيقولاوس كاباسيلاس لم يعطِ أيّ تعريفٍ للأسرار بل أَصرّ على أنَّ «الكنيسة، من حيث هي جسد، تتحقّق وتُستَعلَن في الأسرار». وَصَفَ الأسرارَ بأنّها «كالأوصال للقلب»، و«كالأغصان للشّجرة» و«كالدّرجات في السلّم». وفي مواضعَ أُخرى سمّى الأسرار «نوافذ يَدخلُ منها شمس العدل». الأسرار هي «الحياة في المسيح»، هي حياتنا في الكنيسة جسد الرب الغالب الموت.

نجد لدى القدّيس نيقولاوس كاباسيلاس تشديدًا على أنّ وظائف الأسرار مرتبطة عضويًّا مثل وظائف الجسد الحي: «المعموديّة ولادة وإعادة لجبلة الإنسان. الميرون هو السّر الذي يُحرِّك الإنسان بفعل الرّوح القدس لتحريك كمال الحياة في المسيح، والقدّاس يُغذّي أعضاء الجسد».

هذا الوصف يشبه الواقع الفيزيولوجيّ الجسدي، حيث يصف الرّسول بولس الكنيسةَ بأنّها «جسد المسيح» الذي نحن أعضاؤه. لا أحد يستطيع أن يتحرّك أو يتغذّى إن لم يولد. من هنا أهميّة التّسلسل والتّرابط وقيام كلّ سرّ على الآخر. طبعًا لا يعني هذا أنّ سرًّا يفوق الآخر بالقيمة أو الأهميّة بل إنّ لكلّ من الأسرار أهميّتَه؛ ولادة وحركة وغذاء، «لأننا به نحيا ونتحرك ونوجَد» (أعمال ١٧: ٢٨).

الأسرار، بحسب تعليم القديس كباسيلاس، ليست طقوسًا بل هي علاقةُ إعطاءٍ وتَلَقٍّ. هذه العلاقة تقوم بشكل واضح وواقعيّ جدًّا على فعل النعمة الإلهيّة التي تُوجِدُ الخليقةَ، وتحافظ على وجودها، وتُغني وجودها، فتستمرّ في تكشّفات سرّ الخلق والعناية الإلهية.

لا بد لنا من استعدادٍ روحي لتقبّل نعمة الله الموهوبة لنا في الأسرار. أما التواني والتقصير في الاجتهاد الروحي فيؤدّيان بالإنسان إلى الحرمان من النعمة المحيية مثل العذارى الجاهلات اللواتي لبثن خارجًا يقرعن الباب.

نعمة الروح القدس في الأسرار تهب الإنسان التائب مغفرة الخطايا. والثبات والاجتهاد في سيرة التوبة يؤول بالإنسان إلى التقديس. أساس ذلك أن فعل الأسرار في حياتنا يتطلّب انفتاحنا وتآزرنا مع نعمة الله. يتطلّب قبولنا الحرّ للتفاعل مع مشيئة الله عبر حفظ وصاياه، والاجتهاد في عمل ما يرضيه، والاندفاع الجريء إلى التضحية والبذل والعطاء. بهذا تتحقق سعادة الإنسان الحقيقية إذ ينتقل مع المسيح المشوق إليه من الموت إلى الحياة.

مهرجانات المعموديّة

يأتي فصل الصيف كلّ عام حاملًا معه إحتفالات من جميع الأنواع، أهمّها تلك المتعلّقة بالعائلة

الإنجيل

(متى ٨: ٥–١٣)

في ذلك الزمان دخل يسوع كَفْرَناحومَ فدنا إليه قائدُ مئةٍ وطلب إليه قائلاً يا ربُّ إنَّ فتايَ مُلقًى في البيت مُخلَّعاً يُعَذَّبُ بعذابٍ شديد* فقال له يسوع أنا آتي وأشفيه. فأجاب قائدُ المئةِ قائلًا يا ربُّ لستُ مستحِقًّا أن تدخُلَ تحت سقفي ولكن قُلْ كلمةً لا غير فيبرأ فتايَ* فإنّي أنا إنسانٌ تحت سلطانٍ ولي جندٌ تحت يدي أقولُ لهذا اذهبْ فيذهَبُ وللآخرِ ائتِ فيأتي ولعَبدي إعمَلْ فيعملُ* فلمَّا سمع يسوع تعجَّب وقال للذينَ يتبعونه الحقَّ أقول لكم إنّي لم أجِد إيماناً بمقدارِ هذا ولا في إسرائيل* أقول لكم إنَّ كثيرين سيأتون من المشارقِ والمغاربِ ويتَّكِئون مع إبرهيمَ وإسحقَ ويعقوبَ في ملكوتِ السموات* وأمَّا بنو الملكوتِ فيُلقَون في الظلمةِ البَرانيَّةِ. هناك يكونُ البكاءُ وصريفُ الأسنان* ثمَّ قال يسوع

لقائد المئة اذهَبْ وليكُنْ لك كما آمنتَ. فشُفيَ فتاهُ في تلك الساعة.

تأمل

إن قال أحد: لماذا لم يكرّم الرب قائد المئة بالذهاب في النهاية إلى بيته؟ نقول إنه كرّمه إكراماً كبيراً إذ امتدح إيمانه علناً دون أن يذهب إلى بيته. وكذلك كرّمه بإدخاله إلى الملكوت وفضّله على الأمّة اليهودية.

وربّ قائل آخر: لماذا لم يحظَ الأبرص بمثل هذا الإكرام بالرغم من إيمانه الكبير الذي يفوق إيمان قائد المئة، إذ لم يقل «قل كلمة فقط»، بل قال «إن أردتَ تقدر» (متى ٨: ٢). هنا أقول إن قائد المئة لم يكن يهودياً، وبالرغم من ذلك وصل إلى مفهوم سامٍ جداً عن المسيح، لذلك يستحق المديح. وأعتقد أنه كان يرى المراتب السماوية، الأهواء والموت، وكل الأمور الأخرى خاضعةً للمسيح كما يخضع الجنود للضابط. لذلك قال «لأني أنا أيضاً إنسان تحت سلطان، لي جند تحت يدي...» (متى ٨: ٩)، وكأنه يقول: أنت هو الله، بينما أنا إنسان. أنا تحت سلطان، أما أنت فلست تحت سلطان أحد. إن كنتُ وأنا إنسان أستطيع أن من زواج وخطوبة ومعموديّة. لن نتطرّق إلى الزواج والخطوبة لأنّ ما يحدث فيهما أصبح غير معقول بسبب المظاهر المرافقة لهما، أمّا غير المقبول أبدًا أن تنسحب تلك المظاهر على سرّ المعموديّة، أي سرّ الدخول في حياة الكنيسة، والذي على أساس إعلان الإيمان خلاله ينطلق المعمَّد في طريق المسيحيّة نحو المسيح.

يتذمّر الناس من غلاء أسعار بعض الأمور المتعلّقة بالمعموديّة، مثل ثياب الطفل والمناشف وغير ذلك، إلاّ أنّهم إذا فكّروا جيّدًا سيدركون أنّ السبب وراء ذلك هو الطلب المتزايد على الأمور الكماليّة التي يريدها كلّ شخص أفضل من التي استعملها قريبه أو صديقه أو جاره في معموديّة أولادهم. السبب الرئيس وراء جشع البائع، ما هو إلاّ حسد الزبون، الذي من المفترض أن يكون مسيحيًّا و«لا يحسد» مثلما يطلب منّا الربّ في وصاياه.

هكذا يبدأ التحضير لسرّ المعموديّة. في حين كانت الكنيسة تهيّء الموعوظين (الذين يستعدّون لنيل سرّ المعموديّة) بالصلوات والأصوام والتعليم المتواصل، نجد أنفسنا اليوم أمام واقع لا يمتّ إلى هذه المظاهر المسيحيّة بصلة. طبعًا لا نريد التّعميم، لكنّ الغالبيّة العظمى أصبحت تسير في هذا التيّار. حاليًّا، لا يذهب الأهل إلى الكنيسة ليحجزوا موعد المعموديّة قبل أن يكونوا قد وجدوا حجزًا في أحد المطاعم من أجل الغداء أو العشاء «الضروريّ» للمناسبة، وإن لم يجدوا مطعمًا يؤجّلون السرّ، هذا إذا لم يدفعوا الضعف أو أكثر لكي يرفض المطعم زبونًا آخر ويستقبلهم. نحن لا نغالي، لأنّ هذا هو الواقع الذي نعيشه.

بعد المطعم، يتمّ التوجّه إلى السوق من أجل اللوازم الضروريّة: الشموع المزيّنة، الثياب البيضاء، السلسلة والصليب، من دون أن ننسى بطاقات الدعوة ومحلّ الأزهار، وطبعًا لا يكتمل الفرح من دون المفرقعات ذات العيار الثقيل، والموضة الجديدة التي هي إحضار فرقة زفّة. كلّ هذا ولم يتوجّه أحدٌ إلى الكنيسة بعد.

عندما يأتي دور الكنيسة، هناك الطامة الكبرى. يذهب الأهل إلى الكنيسة وفي رأسهم فكرة أنّها «مغارة لصوص»، لا سمح الله. يأتون إلى الكاهن ويسألونه قبل كلّ شيء عن تكلفة المعموديّة، طبعًا متناسين مظاهر البهرجة السابق ذكرها التي دفعوا ثمنها غاليًا. وكأنّ الكنيسة «سوبر ماركت». بعد ذلك يخبرون الكاهن بالوقت الذي يريدون أن يُتِمّوا فيه السرّ، والمشكلة إذا كانت في الكنيسة خدمة سرٍّ آخر في الوقت نفسه، لأنّ الكنيسة حينئذٍ تصبح غير رحومة بنظرهم لأنّها لم تنظر إلى وضعهم كونهم حجزوا المطعم ولا يستطيعون التراجع عن الحجز لأنّهم دفعوا العربون. إذًا، نظرة الناس إلى الكنيسة أساسها خطايانا نحن. نريد من الكنيسة أن تسير حسب مشيئتنا وأهوائنا لا على حسب «اللياقة والترتيب». فلو كان سرّ المعموديّة مهمًّا في نظرنا لَما ذهبنا إلى المطعم أوّلًا، بل لَكنّا قصدنا الكنيسة وعملنا بمشورتها.

بعد كلّ هذا، يأتي النهار المنشود. يأتي النّاس إلى الكنيسة، غالبيّتهم بملابس لا تقارب الحشمة بشيء، يجلسون في الكنيسة رجلاً فوق الثانية، يمضغون العلكة، يتحدّثون بأصوات عالية، همّهم التقاط الصور المناسبة للطفل من أجل وضعها على مواقع التواصل الإجتماعي، وفوق كلّ هذا لا يكون

العرّابان يعرفان كلمات دستور الإيمان الذي على أساسه سوف يحيا الطفل الذي بين أيديهما في أحضان الكنيسة ويتغذى بوصايا الرب وتعاليمه التي من واجبات العرّاب أن يلقنها لابنه الروحي.

عندما يحين وقتُ التغطيس، يصاب الأهل بالهلع، أو تعلو أصوات بأنّ هذا عملٌ وحشيّ يمكنه أن يتسبّب للطفل بصدمة نفسيّة. لو كان لدينا إيمان بقدر حبّة خردل، لَما سمحنا لأفكار كهذه بالإقتراب من رؤوسنا. هل تتمتّع الكنيسة بتعذيب أبنائها؟ حاشا. تعلّمنا الكنيسة منذ الطفولة كيف علينا أن نموت مع المسيح لكي نقوم معه، كيف علينا التخلّص من إنساننا القديم لنلبس الجديد ونحيا مع الله وندخل الملكوت.

لذا، أيّها الإخوة الأحبّاء، دعونا نفرح بالربّ، ونحتفل مسيحيًّا، لا كما يحتفل الوثنيّون. الفرح الحقيقيّ في سرّ المعموديّة هو أنّ الطفل يصبح «خروفًا ناطقًا في رعيّة المسيح» و«يلبس المسيح». لا نجعلنَّ أفراحنا السماويّة تنزل إلى مستوى الأرض، بل فلنصعدها من الأرضيّات إلى السّماويّات.

المطران شدراوي في الأخدار السماوية

رقد على رجاء القيامة والحياة الأبدية صباح ١٤ حزيران ٢٠١٧ المطران أنطونيوس ش دراوي، متروبوليت المكسيك وفنزويلا وأميركا الوسطى وجزر الكاريبي.

ولد في ١٦ كانون الثاني سنة ١٩٣٢ في مدينة طرابلس حيث أنهى دروسه الثانوية ثم غادر سنة ١٩٥٠ إلى كورنثوس، اليونان، حيث درس الآداب لمدة سنتين وفي عام ١٩٥٢ تقبل الرسامة الشموسية وفي نفس السنة بدأ الدراسة اللاهوتية في جامعة أثينا وحصل على الإجازة في اللاهوت في كانون الثاني سنة ١٩٥٧.

عاد إلى طرابلس عام ١٩٥٨ وتقبل الرسامة الكهنوتية وحصل على رتبة أرشمندريت. في نفس العام تم انتخاب المطران ثيوذوسيوس أبو رجيلة بطريركاً على أنطاكيا فانتقل إلى دمشق، وانتقل معه الأرشمندريت أنطونيوس آنذاك حتى سنة ١٩٥٩ حين عُيّن رئيساً على دير بكفتين، الكورة، ورئيساً للمحكمة الروحية في أبرشية طرابلس والكورة. سنة ١٩٦٢ تم تعيينه وكيلاً في أبرشية حوران. ما بين العامين ١٩٦٣ و١٩٦٤ أخذ على عاتقه إصدار مجلة «الحركة».

سنة ١٩٦٤ عُيّن وكيلًا في أبرشية جبل لبنان ورئيساً للمحكمة الروحية. في الخامس من حزيران سنة ١٩٦٦ تمت رسامته الأسقفية بلقب أسقف قيصرية، وفي أيلول من السنة نفسها عُيِّن معتمداً بطريركياً للمكسيك وفنزويلا وأمريكا الوسطى وجزر الكاريبي. وصل إلى المكسيك في كانون الأول ١٩٦٦. وفي ١٢ حزيران ١٩٩٦ صدر قرار المجمع الأنطاكي المقدس بإنشاء متروبوليتية للمكسيك وفنزويلا وأميركا الوسطى وجزر الكاريبي مكان المعتمدية السابقة، وتم تنصيب المطران أنطونيوس كأول متروبوليت عليها.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

أفعل أشياء كثيرة، فكم بالأحرى تفعل كإله وأنت لستَ تحت سلطان أحد؟

أنظر كيف أظهر قائد المئة أن ليسوع سلطة على الموت كسلطة السيّد على العبيد عندما قال ليسوع: «أنا إنسان تحت سلطان ولي جند تحت يدي أقول لهذا إذهب فيذهب وللآخر إئتِ فيأتي، ولعبدي اعمل فيعمل». وهو يقصد بذلك: إن أمرتَ الموت خضع لك وابتعد عن عبدي. أنظر إلى أي حدّ كان إيمانه! فإن الأمر الذي سوف يظهر جلياً لاحقاً كان قائد المئة حاصلًا عليه، وهو أن الرب كان له سلطان على الحياة والموت، يقود إلى أسفل أبواب الجحيم، ويُنهض من هناك. لم يتكلم فقط عن الجنود بل أيضاً عن العبيد، ممّا يدلّ على طاعة أكبر. وبالرغم من إيمانه الكبير، كان يعتبر نفسه غير مستحق.

لقد أظهر المسيح أن قائد المئة مستحق لاستقبال السيد، وكذلك أظهر إعجابه الكبير به، وكرز بإيمانه أمام الجميع، وأعطاه أكثر مما كان ينتظر، لأنه لم يمنحه فقط العافية الجسدية بل أيضاً ملكوت السموات.

القديس يوحنا الذهبي الفم